اللّسانيّات التّمهيديّة (ضبط المصطلح والمفهوم)

الدكتورة: نعيمة قوري

جامعة باجي مختار، عنابة

الملخّص:

تعتبر اللّسانيّات علما غربيا، يختلف عن الموروث اللّغويّ العربيّ في مفاهيمه ومصطلحاته ومناهجه، انتقل إلينا عن طريق التّرجمة ثمّ التّأليف من أجل التّعريف به لكونه علما جديدا وافدا على الثّقافة العربيّة، فتأسّس بذلك اتّجاه جديد في الكتابة اللّسانيّة العربيّة سمّي باللّسانيّات التّمهيديّة. فما اللّسانيّات التّمهيديّة؟ وما أبرز المصطلحات المستعملة للتّعبير عن مفهومها؟

الكلمات المفتاحية : اللسانيات ، التراث اللغوي العربي ، اللسانيات التمهيدية .

Abstract

The linguistics is considered as a foreign science that differs from the Arabic linguistic heritage in its concepts terms and curricular . It was transferred to as though the translation then the authorship to define it as a new arrival science for the Arabic culture . As a result, a new direction (branch) was established in the Arabic linguistics writing and it is called the Introductory linguistics .So what is the Introductory linguistics ,and what are the most prominent terms used to express its concepts .

Key words : The linguistics, Arabic linguist heritage, Introductory linguistics.

تمهيد:تزخر المكتبة العربيّة اليوم بعدد هائل من المؤلفات اللّسانية ،إذ تُصدر الجامعات و دور النّشر أعمالاً متتابعة في مختلف فروع اللّسانيات ، إلاّ أنّ هذه المؤلّفات تختلف فيما بينها ،سواء في الموضوع المعالج أو المنهج المتّبَع ، والغاية التي تروم الوصول إليها ، إذ لا تكاد تخرج عن دراسة الموروث اللّغوي العربي، أو ربطه بما أنتجه البحث اللّساني المعاصر ، أو استثمار اللسانيات في تفسير قضايا اللّغة العربيّة يختلف عن مقولات القدامى ، فذهب اللّسانيون بذلك مذاهب شتى واتجهوا في مناحٍ مختلفة ، وما مردّ ذلك إلا لاختلاف المعايير المعتمَدة في تصنيف هذه الكتابات ،إلاّ أنّ أغلبها (الاتجاهات) لا يكاد يخرج في مداره عن ثلاث اتجاهات "إذ تتوزّع بحسب موضوع البحث ،ومنهجه والغاية المرجوّة منه على عدد من الأنماط الأساسيّة يرتبط كل منها باتّجاه خاص"[1]وتتمثّل هذه المعايير في ما يلي:*

الموضوع: يُراد به المادّة التي تكون موضع بحثٍ ،ومحلّ اشتغال عليها ويمكن أن تكون" النظريات اللسانية مبادئها ،ومناهجها ،وأعلامها ،وما يتّصل بها ،أو التّراث اللّغوي العربي القديم من حيث إنّه تصورات ،وطرق تحليل ،و مصطلحات، أو اللغة العربية الفصحى أو إحدى لهجاتها . وأمّا المنهج :فيعني وجهة النظر المتبَعة في بحث موضوع معيَّن ، وأمّا الغاية فيُقصَد بها الهدف الذي يرومه الباحث اللغوي من وراء خطابه اللساني» [2]فتتنوع بذلك الغايات حسب المادة المدروسة والمنهج المتّبَع في الدّراسة فنجد:

1-**المنهج التعليمي** :الذي يُعني بتقديم المعرفة اللّسانية إلى المتلقي المبتدئ "بهدف تبسيطها، وتيسيرها، وتقريبها من القارئ "[3]غير الملم بأساسيات الدّرس اللّساني .

2-**منهج القراءة أو إعادة القراءة** :الذي يسعى "إلى التوفيق بين مضامين التّراث اللّغوي العربي وما تقدّمه اللّسانيات من نظريات ." [4]

3- **المناهج العلميّة في اللّسانيات** :و التي تُستَعار من أجل دراسة اللّغة العربيّة ،واتخاذها موضوعا للدّراسة ،وذلك من أجل " اقتراح وصفٍ، أو تفسير جديدين لظواهر لغوية عربيّة ." [5]

وبحسب ما أُورِد من معايير في التّصنيف يكون هناك ثلاث أنواع من الكتابة اللّسانية العربيّة على التّرتيب :

1- الكتابة اللّسانية التمهيدية ،أو اللسانيات التمهيدية موضوع البحث .

2- الكتابة اللّسانية التراثية ،أو لسانيات التراث.

3- الكتابة اللّسانية المتخصِّصة ،أو لسانيات العربيّة .

1- اللسانيات التمهيدية : ضبط المصطلح :

ليست قضية المصطلح مسألة جديدة أو حديثة في الدرس اللساني العربي ،بل هي واحدة من القضايا التي هي مدار بحث واستقصاء ، ودافع أساس للملتقيات والندوات ؛قصد البحث عن حلول لهذه المعضلة التي لا تزال تلقي بثقلها على عاتق اللسانيين العرب ، ولاسيما المبتدئين منهم وذلك « لأن رصيدنا المصطلحي في مجال اللسانيات يبدو ضربا من الأهواء النابعة من الميول والابتكار الشخصي الذي لا يتقيد بمنهجية علمية دقيقة .»[6] ،فكثرت بذلك المصطلحات ،وتاه الناس في صحرائها ،وتعسّر الأمر على المتخصّص ، والمبتدئ على حد السواء ؛ لأن « سيل المصطلحات المتدفّق يزداد يوما بعد يوم، والآراء غير متَّفقة على منهجيّة لوضع المصطلحات، أضف على ذلك غياب التشريعات التي تُلزِم الجهات العلميّة المختلفة باعتماد مقابلات معينة للمصطلحات.» [7]

ولعلّ جانبا من جوانب هذا الإشكال يمس هذا البحث الموسوم ب " الدرس اللساني في الجزائر :دراسة نقدية في المداخل التأسيسية " ،والمقصود هنا تعدُّد المصطلحات للمفهوم الواحد ، وهو ما يسميه اللسانيون الترادف ، إذ يُسجَّل عدد من المصطلحات الدالة على ذلك الاتجاه الذي يروم تعريف القارئ المبتدئ باللسانيات بالاعتماد على أسلوب مبسَّط لتشكيل معرفة لسانية تؤهّله لاحقا للمباشرة في تناول قضايا لسانية أكثر عمقا ، فهي الأرضية القاعدية ، والأسس التي يبني عليها القارئ المبتدئ ، أو قليل الخبرة في هذا المجال معرفته اللسانية .

ومن هذه المصطلحات التي تدل على هذا المفهوم أو تنحو منحاه مصطلح : المداخل التأسيسية تقديم النظرية اللسانية الغربية ، و اللسانيات التيسيرية ، واللسانيات التبسيطية ، واللسانيات التمهيدية. ولابدَّ من النظر في هذه المصطلحات لاختيار أنسبها من حيث دقة التعبير عن المفهوم ومدى توفر الشروط اللازمة في المصطلح من دقة ، ووضوح ، واقتصاد لغوي .

أ- **المداخل التأسيسية** :من المصطلحات المتاخمة، والمعبّرة عن المفهوم السابق. وحتى يؤديَ المصطلح وظيفته المنوطة إليه ، لابدَّ من توفر عنصري الدقة والوضوح ، وهو ما لا يتحقَّق بشكل تام في هذا المصطلح ؛لأنه لفظ عام ولا يعبّر تعبيرا دقيقا عن مفهوم ذلك الاتجاه الذي يهدف إلى تبسيط المعرفة اللسانية ، وتقريبها من ذهن القارئ المبتدئ ؛ لأنه لا يبين طبيعة المادة المبسَّطة «ومن جوانب اختلال دلالة المصطلح اللساني ما يأتيه من تعميم وغموض ، مبعثه عدم التدقيق في معرفة دلالة

المصطلح .»[8] أضف إلى ذلك أنه مصطلح أُطلِق بالنّظر إلى الغاية التي يهدف إليها هذا الاتجاه والمتمثلة في التأسيس لمعرفة لسانية يتخذها القارئ منطلقا لمستويات معرفية أعلى وأعمق .

ب- **تقديم النظرية اللسانية الغربية** : ويُنسَب هذا المصطلح إلى اللسانية فاطمة الهاشمي بكوش ، في كتابها " نشأة الدرس اللساني ، دراسة في النشاط اللساني العربي "، ويشير هذا المصطلح إلى تلك الجهود العربية الحثيثة والساعية إلى تعريف القارئ العربي بالنظرية اللسانية الغربية (أو مجموع النظريات اللسانية) انطلاقا من كونه جاهلا بها ، ولا يعدو كونه إلا شرحا للمفهوم ؛لأن من خصائص المصطلح الاقتصاد اللغوي ، وهو ما لا يتحقق في هذا المصطلح ، كما أنه مصطلح (عبارة مصطلحية) مرادِف من وجهة نظر المنهج المتَّبع في عرض هذه المادة ، وهو ما يُفهَم من كلمة تقديم ، وما تقتضيه من تبسيط وشرح .

ج- **اللسانيات التيسيرية أو اللسانيات التبسيطية** :يُنسب هذان المصطلحان إلى حافظ إسماعيلي علوي ، والذي استعملهما جنبا إلى جنب عند حديثه عن اللسانيات التمهيدية بعدِّهما مرادفين له على ما يبدو من اختلاف بين المصطلحين ، فالتبسيط متعلق بالمادة في حد ذاتها ،أما التيسير فمتعلق بالطريقة أو المنهج الذي تُعرَض به المادة (المنهج التعليمي) ولا يعني التبسيط التغيير في ماهية المادة أو تشويهها بالحذف أو الاستزادة بما ليس له علاقة بها . ومجمَل القول : إنّ هذين المصطلحين هما صفتان لهذا المفهوم من وجهة نظر المنهج المتبَنى في هذا الاتجاه .

د – **اللسانيات التمهيدية** :هذا المصطلح - في نظري – مصطلح جامع مانع للأسس التي ينبني عليها هذا الاتجاه ، وذلك على النحو الآتي :

المادة : والتي يشير إليها مصطلح اللسانيات ، والذي يمثِّل الموضوع أو المادة التي يقوم عليها اللسانيات التمهيدية .

المنهج والغاية: والذي يمكن استنتاجهما من كلمة " تمهيدية " ، وما يتطلبه التمهيد للشيء من توخي التدرج ، والتبسيط ،والشرح ،وضرب الأمثلة التوضيحية ؛ لأن من يقوم بهذه العملية ينطلق من فكرة مفادها أنّ ما يُقدَّم في هذه المرحلة الحرجة سيكون الأساس الذي يبني عليه الطرف المستَهدَف حصيلته المعرفية اللاحقة ، فإذا ما أُحكِم ضبطُها ،فإن ذلك سيؤدي لا محالة إلى فهمها ،واستيعابها بطريقة جيدة .

يُضاف إلى هذا السبب سبب آخر يتمثل في أنّ مصطلح اللسانيات التمهيدية أكثر استعمالا في المؤلّفات اللسانية « وحياة المصطلح في استعماله ، واستعماله رهين جودته من جهة ، وطلبه أو الطلب عليه من جهة أخرى .» [9] كما أنّ هذا المصطلح يتضمن الشروط الأساسية للمصطلح من دقة، و وضوح، واقتصاد لغوي ، وإلى حد ما «الاطراد أي الاعتماد على شيوع المصطلح ورواجه بين مستعمليه .»[10] إذ أُستُعمل هذا المصطلح عند مجموعة من اللسانيين العرب *في عديد المؤلَّفات اللسانية ، والتي هي عبارة عن دراسات نقدية ،وليس فقط مجرد استعماله استعمالا عابرا .

2-دواعي ظهورها :

بعد احتكاك اللّغويين العرب باللّسانيات ،وما تمخّض عن ذلك من إشكالات تتعلَّق بكيفية تلقي هذا العِلم الوافد ،وما انجرّ عنه من صراعاتٍ فكريّةٍ ،جعلت مسار البحث اللّساني العربي يسلك مسلكا ضبابيا ،فهي "لا تزال تبحث عن نفسها ،وتلتمس طريق الانطلاق ،وحتى إذا انطلقت في كثير من الأحيان ،فقد يكون ذلك في اتّجاه غير مرغوب فيه "[11]على الرغم من وجود فرص مختلفة للتّعامل معها بايجابيّة أكثر ،وانفتاح أكبر ،تتلخص هذه الفرص في " النهضة الفكرية العربية الحديثة وإنشاء الجامعات العربية ،واهتمام الباحثين المستشرقين المتزايد باللّغة العربيّة ."[12] فقد ازدهرت الدّراسات اللّغوية بفضل البعثات الطّلابية إلى الغرب، وفُتِح المجال أمامهم لكشف أسرار هذا العلم وأَخْذِه من منابعه الأصليّة ،ولاسيما بعد عودة هؤلاء الطلبة إلى مواطنهم ابتغاء التّعريف بهذا العلم وتقديمه للقارئ العربي ،وما زاد في تثمين هذه الفرصة (فرصة تقديم اللّسانيات وإطلاع القارئ عليها) إنشاء جامعات عربية تدرس علم اللغة على رأسها الجامعة المصرية والجامعة السورية ،إن كان يغلب على أساتذتها "التكوين الأدبي ،فقد انحصر اهتمام اللغويين منهم في حدود نقدهم لأصول النّحو العربي العامة ، وقواعده، ومنهج النحاة ،وللبلاغة القديمة في قواعدها ، وقوالبها البيانية»[13]

ولا يخفى ما كان للمستشرقين من دورٍ فعّالٍ في النّهوض بالبحث اللّساني بقسم اللّغة العربيّة "فقد كان لهؤلاء الأساتذة دراية تامّة ،ودقيقة بمناهج البحث العلمي آنذاك »[14]من هذه الاعتبارات ؛أي كون اللّسانيات علما غريبا ،إضافة إلى مختلف الحيثيات المرتبطة بتلقيها في الوطن العربي وكما أنّ المتلقّي العربي مُختلِفٌ من حيث مستواه ،واطّلاعه ،ومعارفه المسبَقة ،والمتعلِّقة بدراسة اللّغة، ولاسيما ما ارتبط منها بالتّراث اللّغوي العربي .

وفي إطار التّعريف باللّسانيات ،كان لزامًا تقديم هذه المعرفة بطريقة مُيسَّرة ،مُبسَّطة ،تماشيًا مع مستوى القارئ العربي الذي يجهل الكثير عن هذا العلم الوافد ،ولهذا ومع بداية دخول اللّسانيات رحاب الثّقافة العربيّة حاولت مؤلَّفات كثيرة تقديمَها، ولكن ليس بالطّريقة التي هي عليها في بيئتها الأصليّة علم تنظيري مجرَّد ومعقَّد ،وإنَّما حاولت تبسيطها قدر الإمكان، حتى يتسنّى للقارئ العربي غير المطّلِع عليها أو قليل الخبرة في هذا المجال أن يستوعب مفاهيمها و نظرياتها المختلفة وذلك بالاعتماد على "المنهج التعليمي القائم على التوضيح و البيان والشرح وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة و الرسوم البيانية. »[15]فهذا الاتّجاه في الكتابة الذي يَرُوم تبسيط هذه المعرفة اللّسانية العلميَّة يدعى اللّسانيات التمهيديَّة ، فما هي؟

3-تعريف اللّسانيّات التمهيدية:

اللّسانيات التمهيديَّة اتِّجاه في الكتابة اللّسانيَّة العربيَّة، يمثِّل أولى خطوات الالتقاء بين اللّسانيات بعدّها علما غربيا ،و الثقافة العربيَّة باعتبارها مُتقبِّلة لهذه المعرفة اللغوية إذ يمكن اعتبارها المرحلة الجنينيَّة الأولى من حياةاللّسانيات في الوطن العربي وعلى هذا الأساس يتم إحداث مجموعة من التحولات والتعديلات حتى يصبح هذا المحتوى العلمي(اللّسانيات) قابلا للتقديم لشريحة محددة، شريحة جاهلة بأصول هذا العلم عموما. إنّها طريقة في الكتابة لا يمكن لأيِّ علم أن ينتشر من دونها لما لها من دور فعال وبالغ الأهميَّة في التعريف باللّسانيّات" إذ تمنَح القارئ فكرة أولى تمكنه من فك رموز ما يمكن أن يعترضه أثناء تعمُّقه في سبر أغوار اللسانيات فاللسانيات التمهيديَّة مصدر معرفي ثري يزود القارئ أو الباحث معًا بمفاتيح القراءة التي تمكنه من تتبُّع التحاليل اللّسانية المختلفة، وممارستها أيضا. »[16]أي التركيز على الجانب النظري من جهة ،و المنهجي من جهة ثانية بأسلوب مُبسَّط مُيسَّر يتم فيه التَّركيز على المبادئ الأساسيَّة في اللّسانيّات و" إزالة بعض الأوهام الراسخة في ذهن القارئ العربيّ، بسبب اطِّلاعه على الفكر اللغوي القديم .»[17] فتمنحه بذلك تأشيرة الدخول إلى عالم اللّسانيّات.

4- اللّسانيّات التمهيدية:موضوعها،ومنهجها، والغاية منها:

أ- موضوعها :تقوم اللّسانيات التمهيديَّة في مادَّتها على اللّسانيّات من حيث هي نظريات وأعلام و مناهج. "إذ يتشكل موضوع الكتابة اللسانيَّة التمهيديَّة أو التبسيطيَّة ممّا تُقدِّمه النظريات اللّسانيَّة الحديثة»[18]فاللّسانيّات في بعدها الغربي هي الموضوع الأساس الذي تشتغل عليه الكتابة اللّسانيَّة التمهيديَّة ،و تسعى لتقديمها بوصفها علما يسعى لدراسة اللسان البشري دراسة علمية، ولذلك على

هذه المؤلَّفات اللّسانيَّة الموَجَّهة للقارئ المبتدِئ أن تكون ملمَّة بجميع النظريات اللّسانيَّة، وما تفرزه هذه الأخيرة من مناهج في دراسة اللِّسان البشري دقيقة في مفاهيمها ومضبوطة في تحديد موضوع اللّسانّيات.

ب- منهجها :إنّ طريقة عرض اللِّسانيات بعدِّها معرفة علميّة تقتضي بالضرورة منهجًا خاصًا يختلف عن المناهج العلمية، لاسيما إن تعلق الأمر بالقارئ المبتدِئ ،إذ تعتمد الكتابة اللّسانيَّة التمهيديَّة على المنهج التعليمي القائم على التَّبسيط والشَّرح من جهة أخرى "إعادة تنظيم وتصنيف وترتيب وإعادة بناء المحتويات الدراسيَّة"[19]،وذلك بالنظر إلى حاجات المتعلِّمين وقدراتهم اللغويَّة المختلفة.

ج- **الغاية منها** : يهدف هذا النوع من التأليف إلى تقديم اللّسانّيات ،و تقريبها إلى ذهن القارئ و إزالة ملامح الغربة والغرابة عنه، سواء في مفاهيمها و مصطلحاتها ،أم في نظريَّاته ،ولكنّ الذي يطلّع على بعض المؤلَّفات التمهيديَّة يجدها تتباين في الطريقة (المنهج) التي تتَّخذها لتقديم اللّسانّيات إلى القارئ العربي، وهذا أمر طبيعي ؛ لأنّه مُتعلِّق بالباحث وعلاقته باللّسانّيات من جهة والتراث اللغويّ العربيّ من جهة ثانية، أضف إلى ذلك الاتجاه المتبنَّى من لدن المؤلِّفين ،أو انتماءاتهم المدرسيَّة التي تشهدها الساحة اللغويَّة اليوم ،فقد يزاوج المؤلِّفُ الحديثَ عن اللّسانّيات في مختلف أطوارها ،أو يربطها أو يقارنها ببعض القضايا التي لها جذور في التراث اللغويّ العربيّ، بحيث يُقدِّم "فصولا في علم اللغة تتجه إلى المثقَّف العربيّ في محاولة ربط ومقارنة بين التراث و المناهج الحديثة...و اقتناعا بضرورة الربط بين التراث ،ومناهج علم اللغة الحديث كان لابد من المقارنة و المقابلة لعل في ذلك إسهاماً في تأصيل علم اللغة عند المثقفين العرب."[20]

فلا يزيد ذلك القارئ إلَّا تذبذبًا وتشتُّتاً، ويخلق في نفسه صراعا فكريًّا هو في غنى عنه ،ثم إنّ مثل هذه القضايا الشائكة كالمصطلحات و مقابلاتها العربيَّة التراثيَّة، والاستماتة في إجلاء الفروقات بين بعض العلوم التراثيَّة العربيَّة ،وبعض الفروع اللّسانيَّة الحديثة من شأنه أن يخلق لدى القارئ خوفًا معرفيًّا؛ لأنّه لا يملك العدّة المفهوميَّة ،والمصطلحيَّة الخاصة باللّسانّيات، و يزيد الأمر صعوبة إذا كان يجهل الكثير عن التراث فقد يؤدي هذا إلى "الاعتقاد الخاطئ بأنّ الفكر اللغويّ القديم إمّا يُغني عن اللّسانّيات أو أنّه هي."[21]ولذلك من المفضَّل على الكتاب التمهيديّ أن يختار المواضيع بدقّة، فلا يخوضُ في القضايا التاريخيَّة الخاصة باللّغة و نشأتها، و أصلها، إذ تعدّ من القضايا التي أُغلِق البحث فيها ، مراعيًا بذلك مستوى القارئ الذي يكون-من المفروض-قد حدَّده في مقدمة كتابه، فإن كان ممن يطلّع على اللّسانّيات لأوَّل مرة، فلا داعي إلى المنهج الذي يزاوج بين اللّسانّيات، و التراث اللغويّ العربيّ،

وإنّما يقتصر على اللّسانّيات (أو إحدى فروعها)بأسلوب ميسَّر، يسمح له بتمثّل مفاهيمها ،وضبط مصطلحاتها حتىَّ إذا تمكن منها جاز له أن يعرض على القارئ بعض المسائل التراثيَّة، شرط أن يؤجِّل الحديث عنها في المؤلَّف الواحد بعد تقديمه للّسانّيات باعتبارها علمًا غريبًا بشكل تدريجي يتماشى مع مستوى القارئ ،وثقافته وقدرته على الاستيعاب من جهة ،واحتياجاته من جهة ثانية.

5- **اللّسانّيات التمهيدية:معرفة منقولة:**

اللّسانيات نظريَّة أو مجموعة نظريَّات توصَّل إليها البحث في اللغة إذ تتميَّز بمفاهيمها المعقَّدة والمجرَّدة تُعمَّم فيها النتائج، وتُضبَط فيها القوانين، ويتحرّى فيها أصحابها الدقَّة العلميَّة ،و الصرامة المنهجيَّة ،وهذه الأفكار بطبيعة الحال لا يفهمها ،و لا يتمثَّلها غير أهل الاختصاص في هذا المجال .

وقيمة العلم لا تتأتَّى في انحساره بين المختصِّين ،وإنمَّا في شيوعه في الأوساط العلميَّة المختلفة ،فهل يستطيع المتعلِّمون على اختلاف مستوياتهم الاستفادة من هذه المعرفة العلميَّة ؟ طبعا لا "فالقواعد العلميَّة تقوم على الأساليب الألسنيَّة العلميَّة في البحث ،وتعتمد التجريد في الصياغة ،وتتبنَّى لغة صوريَّة قائمة على رموز تفسِّر المعطيات اللغويَّة ،وتسهِم مباشرة بتعميم التحاليل اللغويَّة واختبارها والتأكُّد من ملاءمتها للمعطيات ."[22] ولذلك كان لابد من إجراء مجموعة من التحويلات التي تجعل من هذه المعرفة العامة ،معرفة قابلة للتعلُّم والتعليم على حد السواء ،ويُطلَق على هذه العمليَّة بالنقل التعليمي "transposition didactique".

إنّ أوّل من استعمل هذا المصطلح هو الديداكتيكي إيف شفلارIves Chevillard في تعليمية مادة الرياضيات ،لما تتميَّز به هذه المادة من تعقيد وتجريد وصعوبة في التمثُّل لدى المتعلِّمين ثم انتقل إلى باقي المواد التعليميَّة الأخرى .

يُعرِّف إيف شفلار النقل التعليمي بأنّه "مضمون معرفة حين يُرَاد به أن يصبح موضوعًا للتعليم فإنه يتعرَّض حينها للمجموعة من التحوُّلات التكييفيَّة التي تخلق له مكانًا جديدًا وسط مكوِّنات الفعل التعليمي ،وتسمى عمليَّة تحويل موضوع معرفة مُعدَّة للتعليم إلى موضوع قابل للتعليم بالنقل التعليمي "[23] أو أنه مجموع الميكانيزمات العامَّة التي تسمح بانتقال المعرفة العالمة (العلمية) إلى معرفة تعليميَّة ، ولأنّ قارئ اللّسانيَّات (العربي أو الأجنبي) لا يمكن أن يتمثَّل مفاهيمها المعقَّدة والخام، كان لزامًا إجراء مجموعة من التعديلات ،والتحويلات التي يتم بمقتضاها نقل اللّسانيات باعتبارها معرفة علميَّة صرفة إلى مادة تعليميَّة .وهذه العمليَّة لا تمسُّ اللّسانيات من حيث هي مادة وإنَّما طريقة عرض هذه المادة،

وتقديمها في قالب تعليميّ تربويّ .ولا يعني بذلك النقل التعليمي "الاختزال التبسيطي للمعرفة العلميّة بل هو إعادة بناء هذه المعرفة من خلال تنظيمها ،وتصنيفها وتبويبها بناءً على ما يتطلبه الفعل التَعلِيمي التعلُّمِي» [24]، ولذلك يُراعى في المادة المنقولة ألاّ تكون مختصرة اختصارا مُخِلا بل يَكثُر فيها الشرح وضرب الأمثلة والرسوم إن استدعى الأمر ذلك؛ "لأن القارئ العربيّ قد تَعْلَق بذهنه تصوُّرات ،ومذاهب لغويَّة لا تُيسِّر له مُتابعة التصوُّرات، والمذاهب الحديثة في علم اللُّغة إن عُرِضَت له مُوجزة مُركَّزَة، أو مُشارا إليها إشارة عابرة "[25]كما يتمُّ في هذه العمليَّة التَّركيز على المبادئ الأساسيَّة التي تتضمَّنها المعرفة العلميَّة المراد نقلها، وذلك بالنَّظر إلى الشريحة الموجَّهة إليها ،على اعتبار أن اللّسانيات التمهيديَّة تتوجه بالخطاب اللّساني (المنقول)إلى شرائح متعددة يُراعَى فيها مستوى القارئ وثقافته وقدراته وحاجاته ،علاوة على هذا وذاك لابد من "مصادقة العلماء على سلامة هذه المعرفة المدرسيَّة "[26]بالتّعاون مع اللّسانيّين والمختصِّين في التعليميَّة وعلماء النّفس وعلماء التربية .

6-الكتابة اللّسانية التمهيدية ومستوى القارئ:

إنّ الكتابة اللّسانيَّة التمهيديَّة نوع من أنواع الكتابة اللسانيَّة العربيَّة تقوم على المادة اللّسانيَّة الغربيَّة وما تنتجه نظريَّاتها من مبادئ مناهج في دراسة اللّسان البشري .إلا أنها تتوجه بهذا الخطاب إلى شرائحَ مختلفة من القرّاء،أو إن صح التعبير قارئ متفاوت المستوى فمتلقِّي اللّسانيات طالب ليس له إلمام كبير بها، كما له "أيضا حمولته الثقافية الخاصة به ،ورؤيته لقضايا اللُّغة العربيّة ." [27]

فما عساه يكون القارئ الذي تحدِّده الكتابة اللِّسانية التمهيديَّة ؟

تنطلق الكتابة اللّسانية التمهيديَّة من تصوُّر يتمثَّل في كون الشريحة التي توجَّه إليها مثل هذه الخطابات (الميسَّرة)جاهلة بمبادئ اللّسانيات بشكلٍ عام ،ولكن جهله هذا مستويات فقد "يكون قارئًا يجهل أصول هذا العلم ،الذي لم تحضِّره البرامج الدراسيَّة على ولوجه ،أم من الطلاب الذين يبدؤون دراستهم في المجال اللّساني ،أو الطّلاب اللذين يحتاجون اللّسانيات في دراستهم المتنوِّعة ،أو المعلِّمين اللذين يريدون تطوير تعليمهم اللّغة ،ونمط معالجة قضاياها التي تعترضهم خلال عمليَّة التعليم."[28]
ولهذا على المؤلفات التمهيديَّة أن تُحدِّد بدقَّة مستوى القارئ الذي توجِّه إليه خطاباتها، والمقصود هنا خطاب المقدِّمات ؛لأن ما يُلبِّي رغبة الطالب الجامعي المقبِل على التخصص في اللّسانيات ،ليس بالضرورة هو نفسه بالنسبة للمعلِّم أو قليل الخبرة، فهذا خطأ منهجيّ ينْجرُّ عنه خطأ معرفيّ ،إذ بإمكان الكتاب التمهيديّ الأول الذي يعثر عليه المتلقِّي أن يحبِّبُه في المادة ،أو يجعله يُعرِض عنها ،بالمقابل فإن

هذا التباين في مستوى القارئ يعكس تبايُنًا في الغايات ،أو الحاجات التي يسعى إليها كل قارئ من خلال اطِّلاعه على مؤلَّفات تمهيديَّة ،يمكن تلخيصها في الاتجاهات الآتية :"اتِّجاه معرفيّ عام ، اتجاه تعلُّمِي أوَّلي،اتِّجاه علمي متخصِّص، اتِّجاه تعليمي تربوي . "[29] يرتبط الاتِّجاه الأوَّل الجاهل بأصول ومبادئ اللّسانيات عموما ،والثاني بالطالب الذي يبدأ دراسته في اللّسانيات والثالث بالطالب الذي يودُّ التخصُّص في ميدان من ميادينها ،أمَّا الأخير فيختصُّ بشريحة المعلِّمين اللذين يجدون صعوبة في نشاطهم التّعليمي، أو يسعون إلى تحسين أدائهم التربوي .

الهوامش :

[1] هبة خياري:خصائص الخطاب اللساني ،أعمال ميشال زكريا نموذجا(منشورات زين بيروت) دار الوسام العربي للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1، 2011، ص37.

[*] هذا التصنيف لمصطفى غلفان ،وقد تم اعتماده للاعتبارات التالية: -إنّه التصنيف الأكثر شمولا،إذ لم يقتصر في منطلقه على الدرس اللغوي الحديث ،أو التراث اللغوي العربي،أو الربط وعقد المقارنة بينهما.

-معاييره واضحة و مضبوطة، مادة ،منهج ،غاية. كما يمكن "أن نميز في أي بحث علمي أو فلسفي بين المنهج ،والموضوع ،والهدف " ينظر:حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ : قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف، الجزائر ،ط1، ص272.

[2] مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة ، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04 ،ص90.

[3] المرجعالسابقنفسه ،ص91.

[4] المرجع نفسه،ص ن.

[5] المرجعنفسه، ص ن.

[6] حافظ إسماعيلي علوي : اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ،ص83.

[7] محمد مرياتي ، وعماد الصابوني، ومروان البواب : دور التقانة (التكنولوجيا)الحديثة في توليد المصطلح وتوحيده ونشره ، مجلة اللسان العربي ، الرباط العددان (55-56) ، ذو القعدة / ديسمبر (كانون الأول) 2003 ص 257.

[8] محمد أحمد قدور : اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ،دار الفكر دمشق ،ط1،ماي 2001ص 32.

[9] كمال لعناني : دور لسانيات المدونة الحاسوبية في ترقية ،ونشر المصطلح ، مجلة الممارسات اللغوية ، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ،مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر العدد 20،ص 07.

(10) يوسف وغلسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت) منشورات دار الاختلاف ،(الجزائر) ط1،1429/2008، منشورات الاختلاف ،ص71.

* لقي هذا المصطلح رواجا عند نخبة من اللسانيين العرب أمثال د. عبد الرحمن الحاج صالح: (أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات) مصطفى غلفان :(اللسانيات العربية الحديثة)، حافظ إسماعيلي علوي (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)، محمد الملاخ (قضايا إبستمولوجية في اللسانيات) هبة خياري (خصائص الخطاب اللساني ، أعمال ميشال زكريا نموذجا)....

(11) حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته،ص60.

(12) مصطفى غلفان :اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ، حفريات النشأة والتكوين ،شركة النشر والتوزيع ، المدارس ، الدار البيضاء ،ط1،2006،ص154.

(13) مصطفى غلفان :اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ، حفريات النشأة والتكوين ،ص134.

(14) المرجع نفسه ،ص135.

(15) مصطفى غلفان :اللسانيات العربية الحديثة :دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ،ص91.

(16) هبة خياري:خصائص الخطاب اللساني، أعمال ميشال زكريا نموذجا ،ص ص(80-81).

(17) مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة :دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ،ص99.

(18) المرجع نفسه،ص91.

(19) مليكة بوراوي :الدرس الصرفي بين المعرفة العلمية و التعليمية،مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار عنابة ،قسم اللغة العربية وآدابها،العدد08،جانفي2012،ص297.

(20) محمود فهمي حجازي:علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة،دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع،القاهرة،ط2 1995،ص03.

(21) حافظ إسماعيلي علوي:اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ص124.

[22]ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية التحويلية ،وقواعد اللغة العربية،المؤسسة الجامعية للدراسات ،والنشر ،و التوزيع،بيروت،ط1 1986،ص21.

[23] النص مترجم عن:محمدحمود:المعرفة بين خطابي النقل الديداكتيكي و التبسيط العلمي،منشورات الجمعية المغربية لمفتشي التعليم الثانوي،الدار البيضاء،ط1، 2004،ص21. و في ما يلي النص الأصلي:

« un contenu du savoir ayant été désigné comme savoir à enseigner subit dés lors un ensemble de transformations adaptatives qui vont le rendre apte à prendre place parmi des objets d'enseignement . „le travail„ qui d'un objet de savoir à enseigner fait un objet d'enseignent est appelé :transposition didactique .»

Ives Chevallard ,la transposition didactique, édition la pensée sanvage ,Paris ,p39.

[24]مليكة بوراوي :الدرس الصرفي بين المعرفة العلمية و التعليمية،ص295.

[25] محمود السعران:علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،دار النهضة العربية والنشر والتوزيع ، بيروت ،دط ،دت ،ص06.

[26]محمد حمود : المعرفة بين خطابي النقل الديداكتيكي ، والتبسيط العلمي ،ص :23

[27]مصطفى غلفان :تدريس اللسانيات باللغة العربية بين الهاجس التربوي ،والمتطلبات العلمية،ضمن كتاب آفاق اللسانيات،دراسات،مراجعات ،شهادات،تكريما للأستاذ نهاد الموسى،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1،مارس 2011،ص43.

[28]ميشال زكريا:الألسنية وعلم اللغة الحديث،المبادئوالأعلام،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت،ط1983،2،ص16.

[29] هبة خياري:خصائص الخطاب اللساني أعمال ميشال زكريا نموذجا،ص118.